جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.com
BM-Publisher

أثر العولمة الثقافية في تغيير مورفولوجية المدينة العربية المعاصرة

يحيى عبد الحسن فليح الجياشي*
جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:
الاستلام: 2017/8/15
تاريخ التعديل : 2017/8/31
قبول النشر: 2017 /9/7
متوفر على النت:2019/5/28

الكلمات المفتاحية :
العولمة الثقافية
مورفولوجية المدينة العربية

الملخص

تمثل العولمة اليوم محل جدل كبير بين أوساط المفكرين ، وبذلك فهي تعبير عن مفهوم يتم التعامل معه بحذر كبير ، لذا فقد انقسم جمهور الباحثين المتخصصين في هذا المجال بين مؤيد ومعارض من تطبيق العولمة والانغماس فيها ، فعملية انتقال الأفكار والثقافات بين الأمم والشعوب له مزاياه وله مساوئه ، وإذ نحن في صدد معرفة آثاره على مورفولوجية المدينة العربية المعاصرة ، نجد أن الأخيرة قد تغيرت كثيراً جراء فكر العولمة الثقافية على حساب المدينة العربية التقليدية.

جاءت الدراسة بهدف تحليل هذا التغيير والتعامل معه بشكل يحقق مزيد من الإيجابيات ، مقرونة بعدم الانسياق التام خلفه على حساب الهوية الحضارية والموروث العمراني الأصيل . وتوصلت الدراسة إلى أن المدينة العربية المعاصرة قد اقتبست كثيراً من خصائص المدينة الغربية شكلاً ومضموناً بايجابياتها وسلبياتها ، وبالتالي فقد أصبحت أكثر شبهاً بالمدينة الغربية المعاصرة منها بالمدينة العربية ذات الفكر العمراني والمعماري الأصيل . لذا ينبغي التعاطي مع التبادل الفكري الثقافي العالمي بما لا يمس الهوية الحضارية للمدينة العربية ، وذلك من خلال تحليل الأنماط الدخيلة قبل تطبيقها ، ومزاوجة الفكر القديم بالحديث ، وإشراك المخطط المحلي بوضع بصماته في أي عملية تخطيطية سواء كانت عمرانية أم معمارية.

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2019

المقدمة

تضاربت وجهات النظر كثيراً حول مفهوم العولمة (Globalization) وتأثيراتها في المجتمعات العربية ، فهناك من يحذر منها ويحاول تجنب الانغماس فيها ، وهناك من ينظر لإيجابياتها المفرطة ويدعو إلى تطبيقها ، إلا أن الدراسات الموضوعية تؤكد بأن للعولمة بكافة تفصيلاتها آثاراً ايجابية وأخرى سلبية ، ونحن إذ نترصد هذه الآثار ونحللها ونفسرها لابد من أن نتوخى الحذر في فهم وتحليل هذه الآثار ، ومعرفة ما إن أمكن من الاستفادة من إيجابيات العولمة وركن السلبيات جانباً دفعاً للضرر الذي يمكن أن يغير في سياساتنا الاقتصادية أو توجهاتنا نحو التواصل مع المحيط العالمي ، أو للتصدي والدفاع عن حضارتنا وثقافتنا الأصيلة وموروثنا من الضياع إذ ما طبقت العولمة حرفياً في مجتمعنا العربي .

*الناشر الرئيسي : E-mail : yehia@gmail.com

إن المدينة العربية التي هي أهم ما أفرزه التطور الحضاري العربي والإسلامي طيلة دهوراً من الزمن ، وهي نتاج لفكر عمراني أصيل وثقافة معمارية عميقة ومتجذرة ، باتت اليوم ضمن دائرة الصراع الحضاري وفي خضم التأثير المتواتر والتغيير السريع ، إذ تكسرت الأواصر القديمة والسائدة سلفاً ، وصار الانصياع نحو ثقافة الغرب وتقليد التغيير الذي انبلج في مدن الغرب وخاصة تلك المدن العالمية الرئيسة القائدة للتغيير، مما أفضى إلى تفكك في مورفولوجيا المدينة العربية المعاصرة وطمس الموروث العمراني فيها ، وبالرغم من الايجابيات الكثيرة التي استوردتها مدننا العربية من حضارة الغرب إلا أنها استوردت معها الكثير من السلبيات .

ويهدف البحث إلى فرز التغييرات الحاصلة في المدينة العربية المعاصرة جراء المدَ الثقافي الغربي ، وتحديد ما هو إيجابي لتطويره ومزاوجته مع الأصالة المعمارية العربية والإسلامية لغرض التوصل إلى نمط أو طراز معماري مهجن حديث وعصري بصبغة معمارية ذات بعد تاريخي ، وعزل الأنماط العمرانية والمعمارية التي لا تتناسب مع البناء المجتمعي العربي والتي تحد من التواصل والتناغم عبر الزمن لتفصل بالمحصلة بين البناء العمراني الأصيل والمكتسب.

تتمحور مشكلة البحث على ما قد أسلفنا إذ نحاول طرح التساؤلات والإجابة عليها افتراضياً من خلال التحليل العلمي المنطقي والتفسير العقلاني ، والتوصل إلى النتائج التي تجعلنا قادرين على تطبيق ايجابيات العولمة الثقافية فيما يخص مورفولوجيا المدينة العربية شكلاً ومضموناً ، والحذر من سلبياتها . فما مفهوم العولمة ؟ وما مفهوم العولمة الثقافية ؟ هل تغيرت المدينة العربية المعاصرة من حيث مورفولوجيتها و بنيتها الداخلية مقارنة بالمدينة العربية والإسلامية؟ ما أثر العولمة الثقافية في هذا التغيير؟ و ما العوامل التي أفضت لذلك التغيير؟

لقد تغيرت المدينة العربية المعاصرة بشكل كبير عما كانت عليه سابقاً ، من حيث معالمها الحضارية وشكلها العام (Landscape) وتركيبها البنيوي ، إذ أن التطور الحضري العالمي قد أثر فيها بحيث أكسبها الكثير من مفاصل تغيراته ، نتيجة لعوامل متعددة ساهمت في تسريع عملية التغيير والاقتباس خلال مدة قليلة قد لا يعدو أمدها منذ منتصف القرن العشرين وما تلاه ، وإن من أهم هذه العوامل ما يتمثل بتطور العلم والتكنولوجيا وحركة المهاجرين وتطور وسائل الإعلام ، فضلاً عن دور الشركات التخطيطية العالمية التي زجت للتدخل في عمليات وضع المخططات الأساسية لكثير من المدن العربية.

اعتمد البحث على المنهجين الوصفي والتحليلي في دراسة واقع المدينة العربية وفهم المؤثرات الخارجية التي ألمَت بها ونتج عنها التغيير البنائي والهيكلي ، كما كان للمنهج المورفولوجي دوره في تحقيق هدف الدراسة من خلال دراسة تفصيلات مورفولوجية المدينة العربية في الماضي والحاضر والمقارنة بينها ، فضلاً عن اعتماد المنهج التاريخي .تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسة تسبقها مقدمة عامة ، تناول المبحث الأول مفهوم العولمة الثقافية والمدينة العالمية وتأثيرها في بنية المدينة العربية المعاصرة ، واهتم المبحث الثاني بدراسة وتحليل مورفولوجية المدينة العربية المعاصرة وصور التغيير الشكلي والبنيوي فيها ، بينما تطرق المبحث الثالث إلى أهم العوامل التي ساهمت في إحداث ذاك التغيير. وأختتم البحث بالاستنتاجات وأهم المقترحات وقائمة المصادر والمراجع المعتمدة.

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

المبحث الأول : مفهوم العولمة الثقافية والمدينة العالمية وأثرها في بنية المدينة

1- مفهوم العولمة الثقافية

يهدف تعزيز مفهوم العولمة الثقافية لا بد من إمعان النظر في مصطلح العولمة بشكل عام كونه مفهوم متشعب كثيراً من جانب ، وتضارب وجهات النظر حوله من جانب آخر ، لذا لا بد من الخوض فيه بحذر وبما يخدم موضوعة البحث. إذ ينظر للعولمة بأنها جعل الشيء عالمي الانتشار[1] ، أي إمكانية انتقال السلع والبضائع والأفراد بين أقاليمه بسهولة تامة ، بغض النظر عن كون تلك السلع مادية أو غير مادية . ويعد تعريف (روبرتسن) من أقدم تعريفات العولمة إذ يؤكد بأنها اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم ، وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش ، بما يعني تقارب المسافات والثقافات وترابط الدول والمجتمعات ووعيها بهذا التقارب . أما (أنتوني جيدنز) فيرى بأن العولمة مرحلة جديدة من مراحل الحداثة وتطورها ، فتتكاثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي وحدوث التلاحم بين الداخل والخارج [2] .

وتمثل العولمة الثقافية جزءاً مكملاً ومترابطاً مع بقية جوانب العولمة المذكورة آنفاً ، تعمل جنباً إلى جنب لتحقيق الترابط بين شعوب العالم ، وبالتالي فالعولمة الثقافية هي عملية انتقال الأفكار والمعاني والقيم إلى جميع أنحاء العالم لتوسيع وتعزيز العلاقات الاجتماعية ، وتتميز هذه العملية بالاستهلاك والاستخدام الشائع للثقافات المنتشرة والمتعارف عليها سيما في تلك المدن عالمية التأثير[3] . وهي ترمي في حقيقتها لتطال ثقافات الشعوب والهوية القومية الوطنية، وترمي إلى تعميم أنموذج من السلوك وأنماط أو منظومات من القيم وطرائق العيش والتدبير، وهي بالتالي تحمل ثقافة غربية أمريكية تغزو بها ثقافات مجتمعات أخرى، ولا يخلو ذلك من توجه استعماري جديد يتركز على احتلال العقل والتفكير [4] .

إن ثقافة تخطيط المدن وتشييد مبانيها بكافة تفصيلاتها وجزئياتها إنما هي في تغيير مستمر ودءوب وفقاً لمعطيات المرحلة الحضارية التي يعيشها سكان المدينة ، ونحن اليوم في عصر تتقارب فيه الثقافات لتندمج في كثير من الأحيان ، فما كان ينظر له بأنه بعيد وفقاً لمقاييس المسافة ، أضحى اليوم قريب بفضل وسائل النقل والاتصال العصرية ، على سبيل المثال المسافة بين بغداد وواشنطن الأمريكية تصل إلى أكثر من 11000 كيلو متر [5] وهي مسافة كبيرة وصعبة الاجتياز خصوصاً ونحن نعلم بأن العائق الأكبر بيد البلدين يتمثل بالمحيط الأطلسي ، لذا فإن انتقال الثقافات وتبادلها كان شبه مستحيل ، أما في الوقت الحالي وبفضل وسائل النقل والاتصال الحديثة أضحت تلك العوائق شبه معدومة التأثير فالمسافر لا يحتاج أكثر من 10 ساعات للسفر من أوربا إلى أمريكا وعبور المحيط الأطلسي بعد توفر النقل الجوي الآمن والمريح. كما أن المنظومة الإعلامية العملاقة ووسائل التواصل الاجتماعي قد قربت المسافات حتى أنها كادت أن تتلاشى ، فأصبح الفرد يعرف الكثير عن ثقافات تلك الشعوب ومستواها الاقتصادي وتقدمها التكنولوجي.

إن هذا التقارب الذي أوجدته أدوات العولمة الثقافية قد انعكس على جميع مناحي الحياة للشعوب العربية ، بما في ذلك نظام المدينة الحضري المعاصر ومورفولجيتها ، إذ تغيرت واقتبست تغييراتها من المظاهر التخطيطية والعمرانية لتلك المدن والمجتمعات خلف المحيط ، خاصة إذ ما كانت تلك المدينة عالمية التأثير فإن عملية ضخ الأفكار التخطيطية والطرز العمرانية والمعمارية

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

الحديثة من تلك المدينة إلى مدن الإقليم العالمي واضحة ويمكن قياسها.

2- الآثار الايجابية والسلبية للعولمة الثقافية

اختلف المفكرون حول تعريف العولمة وتحديد آثارها على المجتمعات العربية، ووفقاً لذلك فقد انقسموا على تيارين متضادين ، الأول يرى بأن هناك تراجعاً لدور العمليات الثقافية والاجتماعية ضمن المجتمعات وخاصة التقليدية والنامية منها بسبب الاختراق الكاسح للعمليات الإعلامية والثقافية من الحضارة الغربية مما نتج عنه تهديد لمنظومة القيم وتهميش أو تحديد ملامح الثقافة الأصيلة. فيما يرى التيار الثاني أن العولمة وبالرغم من توحيدها الحضاري للعالم إلا أنها لا توحد العالم ثقافياً ، إذ لكل حضارة خصوصيتها الثقافية و رمزيتها التي تتفرد بها وبالتالي فالعولمة هنا ليست سوى عملية تسهيل للتبادل الحر بين الثقافات [6].

إن هذا التضاد بين وجهات النظر أفرز وجود مفهومين متناقضين هما التغريب (الأمركة) والتحديث ، وهما مفهومان ينضويان تحت مفهوم العولمة ، وكل من هذين المفهومين قد تم تبنيه من قبل تيار معين . فالتيار الأول قد جاء مطالباً بالابتعاد عن العولمة كونه يرى جانب التغريب فقط كمفهوم للعولمة ، بينما يرى التيار الثاني ضرورة الاندماج تماشياً مع فكر العولمة باعتبارها تمثل جانب التحديث دون التغريب [7].

ولكي نكون موضوعيين في الطرح لا بد من الاعتراف بأن للعولمة الثقافية جوانب إيجابية وسلبية في الوقت ذاته ، فعملية تناقل الأفكار ونقل التكنولوجيا التي سهلت الكثير من أمور الحياة ما هي إلا بفضل العولمة ، فأغلب الاكتشافات والاختراعات انطلقت من الحضارة الغربية لاسيما في المدن عالمية التأثير لتنتشر في أرجاء المعمورة ما هي إلا صورة إيجابية لذلك التأثير ، وهذا لا يمكن أن يحصل دون التقارب والتلاقح بين الحضارات. يمكن القول بأن مورفولوجية المدينة وبنيتها ومعماريتها لم تكن بعيدة عن ذات التأثير الايجابي ، فالأشكال والأنماط وطرز البناء وفن العمارة ومخططات المدينة المعاصرة قد تغيرت في جوانب كثر بفضل عوامل التأثير المتعددة مما أفرز بنية حضرية توفر لسكانها الراحة والأمان من حيث السكن العصري وفرص العمل والتسوق والتنقل الحر السريع.

وبالمقابل فإن هذه الايجابيات قد رافقتها عديد من السلبيات ، كان في مقدمتها ما يتعلق بهوية الشعوب وأصالتها وخطر فقد تلك الهوية ، إذ يذكر أحد المنظرين أن حوار العولمة مع هوية المجتمع هو حوار الذئب مع الحمل [8]، مما يشدد على خطورتها في تفتيت البنية الاجتماعية وطمس الثقافة والقضاء على كل ما من شأنه أن يحمل رمزية في أذهان المجتمع. فالموروث العمراني متمثلاً بالطرز العمرانية الأصيلة التي تمثل نمطاً من المحاكاة لواقع البيئة العربية المعاصرة وامتداداً لتاريخها الطويل ، قد يكون هدفاً للتغيير بفعل العولمة الثقافية وهو أمر يقض مضاجع المختصين الداعين إلى ضرورة الحفاظ الموروث العمراني الثر الغني بالأشكال الإيحائية التي تعزز من الشعور بالانتماء للهوية وعمق التاريخ وخلاصة ما تناقلته الأجيال من فكر تخطيطي عمراني وأشكال معمارية أصيلة.

3-أثر العولمة الثقافية على الهوية العمرانية للمدينة

تعرف الهوية Identity بأنها الإمتياز عن الأغيار من النواحي كافة ، أو هي تعبير عن خاصية المطابقة ، أي مطابقته لنفسه أو مطابقته لمثيله ، فالهوية تمثل خصوصية الذات وما يتميز به الفرد أو المجتمع عن الغير من خصائص ومميزات وقيم وعادات ، وبالتالي فهي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات التي تميز حضارة

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

أمة من الأمم عن غيرها من الحضارات [9] . وعرفها الفرنسي (اليكس ميكلفلي Alex Mikfili) بأنها: منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها [10].

والهوية العمرانية للمدينة تتمثل بتميز تلك المدينة عن غيرها بصفاتها وخصائصها ، ببيئتها التي تعتمد في هويتها على أنشطتها السائدة فيها ، إذ أن قاطنيها غالباً ما يشتركون ويتفاعلون مع تلك الأنشطة المتميزة [11] ، وبالتالي قدرة الفرد على تمييز تلك الخصائص من خلال التمييز البصري المغروس في ذاكرة الناس أو من خلال المشاركة الفعالة لهم في استخداماتها وأنشطتها المختلفة [12].

إن تأثير العولمة الثقافية على الهوية العمرانية للمدينة يتجلى في إقحام الأشكال والتكوينات المادية الجاهزة وفرضها في ثنيات النسيج الحضري بغض النظر عن درجة ملاءمتها من الناحية الثقافية والبيئية [13] ، وبالتالي فإن تلك الهوية العمرانية قد أضحت مشوهة ، مما يصعب على الفرد إمكانية التمييز البصري جرّاء التشابه الكبير بين المدينة العربية المعاصرة ونظيرتها في العالم الغربي ، وخير مثال في ذلك مدن الخليج العربي (دبي أنموذج) ومدينة (نيويورك) في الولايات المتحدة الأمريكية. كما أن هناك تناغم بين المدينة العربية وتلك المدن عالمية التأثير ، وهنا لا نقول بأن التأثير والتفاعل متبادل بل هو عبارة عن عملية ضخ الأفكار العمرانية والمعمارية الغربية داخل تركيبة وبنية المدينة العربية المعاصرة.

صورة (1) يوضح مقارنة للتشابه الكبير في مورفولوجية مدينة دبي في الإمارات العربية المتحدة ومدينة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية

صورة (1) مدينة دبي	صورة (2) مدينة نيويورك

المصدر: الإنترنت ، الرابط : https://www.google.com/search?q

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

4-المدينة العالمية وأثرها في نظام المدينة العربية المعاصرة

لم تنفك الدراسات حول المدينة العالمية (Global City)في تعريفها بأنها المدينة ذات الشهرة العالمية ، أو هي تلك المدينة ذات نطاق التأثير العالمي في مجالات السياسة والاقتصاد ونشر الأفكار ، وإن أول من أشار لهذا المفهوم عالمة الاجتماع (ساسكيا ساسن) [14] ، وقد بقيت لندن وباريس ونيويورك ردحاً طويلاً من الزمن تأخذ مجال الريادة في هذا المضمار ، إذ تراكم رؤوس الأموال وتوسع الانتاج وتصدير البضائع إلى المحيط العالمي ، فضلاً عن كونها المدن اللاعبة الأساسية في مجال رسم السياسة العالمية حتى وقت قريب ، بل وعلى الرغم من ظهور المدن المنافسة في هذا المجال ألا أن هذه المدن المذكورة لا زالت المسيطرة في رسم العملية السياسية وتوجيه الاقتصاد العالمي. والسؤال هنا هل أثرت هذه المدن في تشكيل الطراز المورفولوجي للمدن الحديثة في العالم ؟ وهل تغيرت مورفولوجية المدينة العربية لتعاصر وتواكب هذا التغيير العالمي في طرز البناء وأنماط وتخطيط الأرض الحضرية؟

يكمن الجواب في استعراض مجمل التغييرات المورفولوجية التي طرأت على المدينة العربية المعاصرة ومقارنتها بالمدينة العربية التقليدية (مقارنة زمانية) ، فضلا عن مقارنتها بتلك المدن العالمية (مقارنة مكانية) بهدف تقييم التغييرات المكتسبة منها ، ثم بحث وتحليل العوامل التي أفضت إلى تلك التغييرات الحاصلة. فالمدينة العربية والإسلامية قد بنيت وفقاً لنظام تخطيطي خاص بها ، إذ يمثل المسجد النواة المركزية فيها إلى جانب مراكز الحكم والسلطة فيها ، أي أن الوظيفتين الدينية والسياسية الإدارية تحتل المنطقة المركزية من المدينة . ومنها تتفرع الشوارع المحورية الرئيسة بشكل شعاعي نحو أطراف المدينة وصولاً إلى أسوارها التي تشكل عامل الحماية لها من الأخطار الخارجية ، والتي بدورها تحتوي على بوابات بجميع الاتجاهات لتفتح المدينة نحو المحيط ، وما بين المسجد وأسوار المدينة يتوالى توزيع استعمالات الأرض إذ تجاور الأسواق للمنطقة المركزية لتأتي المناطق السكنية فيما بعد . إن هذا الواقع لم يبقى مسيطراً في نظام تخطيط المدينة في الوقت الحالي فقد خسر المسجد مركزيته من المدينة وكذلك الحال الجانب الإداري ، كما هدمت الأسوار وتوسعت المدن خارج حدودها ، وذلك بتأثير عوامل جغرافية متعددة ، وأخذت المدينة العربية تحذو حذو المدينة العالمية إذ اقتبست منها الكثير فأصبحت المنطقة التجارية هي الحاكمة والمسيطرة في توجيه المدينة وفقد المسجد تأثيره الرئيس بل حتى أنه أصبح أقل من كونه ثانوي التأثير.

ومن هنا نجد أن أصالة الفكر التخطيطي العربي قد أخذ منحى مختلف طيلة فترة العزلة التاريخية ، أو بالأحرى فإن تأثيراته قد انتشرت بشكل واسع في آسيا وأوربا وأفريقيا إذ اقتبست الحضارات المجاورة الكثير من فكر العمارة العربية الإسلامية ، وبالتالي بقي هذا الفكر محافظاً على أصالته لفترة طويلة من الزمن . ولكن ما حصل في الفترة المعاصرة كان بمثابة التشويه لذاك الفكر المعماري والعمراني الأصيل بفعل الغزو الثقافي الحاصل (العولمة الثقافية) ، فتبادل الثقافات وانتقالها من مكان لآخر بحرية في ذاك العالم الصغير بتأثير حركة المهاجرين واقتباس الفكر العمراني ومن ثم نقله من مناطق المهجر إلى مناطق الأصول ، فضلاً عن دور وسائل الإعلام المتنوعة وشبكات التواصل الاجتماعي ، والتحاق الطلبة العرب في الجامعات الغربية واكتسابهم العلوم التخطيطية ، وحركة السياحة ، ودور الشركات العالمية المتخصصة في تخطيط المدينة وغيرها ، إنما هي فواعل

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

مـؤثرة في تغيير البنـاء المورفولـوجي للمدينـة بشـكل عـام والمدينة العربية بشكل خاص .

إن الفكـر التخطيطي الحـديث في تلـك المـدن العالميـة ذات الصـبغة الترابطيـة التـأثير أفضـى إلى تغيير هيكلي في توزيـع اسـتعمالات الأرض الحضـرية ، فضـلاً عـن التغيير المورفولـوجي في عمرانيـة ومعماريـة المدينـة العربيـة ، لـذا نجـد كثيراً منها تتبـع أشـكال وأنمـاط مستوحاة من الصـورة العمرانية لتلك المدينة العالمية.

المبحـث الثـاني : مورفولوجيـة المدينـة العربيـة المعاصـرة وصور التغيير

تمثل مورفولوجيـة المدينـة (Morphology Urban) بأنها خلاصـة تفاعـل الشـكل مـع الوظيفـة ممـا ينـتج عنها المظهـر الخـارجي للمدينـة ، ويسـاعد ذلـك فـي دراسـة التـاريخ العمراني –الحضـري للمدينـة ومعرفـة جملـة العوامـل التي أدت إلـى تشـكيل النمـاذج والأشـكال العمرانيـة والمعماريـة لكـل فتـرة مـن عمـر المدينـة [15] . وبهـدف تبيـان التغيير الحاصـل في المدينـة العربيـة المعاصـرة جـراء العولمـة لابـد مـن اسـتعراض واقـع تركيـب المدينـة الغربيـة ومورفولوجيتها ، كمـا ينبغـي إجـراء مقارنـة للمدينـة العربيـة التقليديـة والمعاصرة .

1- الخصـائص العمرانيـة والمعماريـة للمدينـة الغربية المعاصرة

تتميز كل حضـارة بـأن لهـا تصـور فكـري سـائد يحـدد معـالم هـذه الحضـارة ومنهجيتهـا ويعبر عـن نتاجـات الإنسـان ومنهـا العمـران وفـن العمـارة ، إذ هي أداة العصـر المترجم لكيفيـة اسـتثمار الفضـاء الحضـري [16] ، ومـن ثـم فالعمـارة لابـد أن تتماشـى مـع معطيـات البشـر فالمكـان وحضـارته وتاريخـه يمثـل الـنص الـذي يكتبـه فضـلاً عـن متطلبـات الإنسـان والمفاهيم والأفكار العمرانية والمعمارية المستعملة [17] .

إن التوجهـات الفكريـة للعمـارة الغربيـة الحديثـة والمعاصـرة متعـددة ومتنوعـة ، وخاصـة في مجـال التعـاطي مـع المدينـة التقليديـة أو المـوروث العمراني فيهـا ، ويمكـن اختـزال هـذه الأفكـار بتـوجهين رئيسـيين همـا : الكلاسـيكي الحـداثوي و مـا بعـد الحداثـة ، إذ انصـب الأول نحـو فكـرة الحفـاظ على المـوروث العمراني كونـه يعبر عـن هويـة المجتمـع وتاريخـه الأصـيل ، في حـين انقسـم التوجـه الثـاني إلى تيـارين أحـدهما يهـدف إلى هـدم المدينـة التقليديـة والبـدء مـن جديـد لبنـاء عمـارة حديثـة وفـق متطلبـات العصـر ، بينمـا ركـز الآخـر على اعتمـاد التقاليـد والمـوروث العمرانـي والمعمـاري كخـزين شـكلي يمكـن الاسـتفادة منـه في خلـق العمـارة الجديـدة إذ يؤكـد أن المعنى غير موجـود في الأشـكال ذاتهـا بـل يعتمـد بشـكل أساسـي وجـوهري على ذهـن المتلقي في اشـتقاق ذلـك المعنى كونـه منتشـراً عبـر مجموعـة الأشـكال وعلاقاتهـا التقابلية [18] .

ركـز المفكـرون ومخططـو المدينـة الغربيـة المعاصـرة على اسـتحداث الفراغـات الواسـعة التي تميـزت بهـا الشـوارع العريضـة بفضـل تطـور المركبـات ووسـائل النقـل ، أمـا بقيـة اسـتعمالات الأرض فـي المدينـة فقـد كانـت السـلطات التنفيذيـة تكتفـي بتقسـيم الأحيـاء السـكنية (أي تخطيطهـا) ثـم تتـرك عمليـة توزيـع المبـاني وفقـاً لحاجـة السـكان . وقـد ورثـت أوربـا مـع بـدء عصـر نهضـتها أسـلوب بنـاء الطـرق واسـتحداث الفضـاءات مـن الحضـارات التي سـبقتها ، إلا أن مسـاكن العامـة كانـت تفتقـر لـذلك الفضـاء والضـوء . وكـان للثـورة الصـناعية فيهـا آثـاراً بالغـة الأهميـة إذ عهـد للمهندسـين والإنشـائيين تصـميم المبـاني اللازمـة مـن مصـانع ومحطـات سـكك الحديـد وغيرهـا ، ونتيجـة لـذلك التطـور فقـد بـرزت الحاجـة إلـى الفضـاءات التي تـلاءم الاحتياجـات الجديـدة للصـناعة ، ممـا أفضـى إلى أن حـدث انفصـال بـين العمـارة والتكنولوجيـا والعمـارة

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

والإنشاء وصارت كل منها مهنة مستقلة ، فظهرت نتيجة لذلك أنماط جديدة من البناء [19] .

إن ما تقدم يشير إلى أن هذه التغييرات الشكلية والبنيوية للمدينة الغربية المعاصرة قد حدثت في الفترة الحديثة منذ عصر النهضة في أوربا ، ما أدى إلى خلق أشكال وأنماط عمرانية تتفاعل وتتناغم مع التطور التكنولوجي الحاصل ، وإن هذا التغيير قد شمل معظم مفاصل المدينة الحديثة مما أعطاها بناء مورفولوجي مغاير تماماً عن تلك المدينة التقليدية . وتجدر الإشارة إلى أن التغيير الذي بدء في أوربا قد انتشر في معظم مدن العالم وكان للمدينة العربية النصيب الوافر في اقتباس ذلك التغيير على حساب الطابع الأصيل لمورفولوجية المدينة العربية والإسلامية. وهنا لابد من استعراض النمط المورفولوجي للمدينة العربية قديماً وحديثاً لفهم أشكال التغيير الحاصل .

2- العناصر المادية للمدينة العربية التقليدية وصور التغيير المعاصرة

لقد تميزت المدينة العربية التقليدية بمورفولوجية كانت وليدة احتياجات وظروف سكانها ، إذ لم يكن علم التخطيط معروفاً آنذاك بمفاهيمه ونظرياته المعاصرة ، كما أن وسائل وأساليب البناء في تلك العصور تختلف جذرياً عن مثيلاتها الحالية ، وبالرغم من ذلك ظهرت اتجاهات تخطيطية وعمرانية تمثل قيم ومبادئ ومعايير في تخطيط المدن [20] ، وبالتالي فقد أعطى للمدينة العربية التقليدية مورفولوجية خاصة تختلف عن واقعها في الفترة المعاصرة من عمرها .

يمثل **مخطط شوارع المدينة** ملخص لتاريخها المتنوع من حيث التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية والعمرانية المتلاحقة التي عرفتها ، فشبكات طرق النقل تمثل الأساس التخطيطي للمدينة [21] وعموده الفقري ، إذ يعتمد عليها توزيع وظائف المدينة واستعمالات أرضها . لقد أفرز هذا التاريخ الطويل عن ظهور خطط متعددة داخل المدينة ذاتها جراء التطورات المذكورة ، فكل خطة من خطط المدينة ما هي إلا استجابة مرحلية للواقع السائد آنذاك.

تميزت المدينة العربية التقليدية بأنماط متعددة من الخطط ، فمنها العشوائية ومنها الإشعاعية والنجمية وغيرها ، وهي على الأغلب تتصف بالشوارع الضيقة استجابة لنوعية وطبيعة وسائل النقل المتاحة فضلاً عن طبيعة البيئة السائدة . إن هذه المعطيات أفرزت عن تنظيم المدينة بأشكال خاصة تتناغم مع التركيبة المجتمعية والدينية التي تفرض أن تكون أنماط العمران متناغمة مع واقع المجتمع ، لذا نجد المساكن على جانبي الشوارع الضيقة تظهر بأنماط تحفظ صفة ومبدأ وحدة الجيرة و تتوزع قطع الأرض بواجهات متجاورة ومتقابلة ممتدة مع امتداد الشارع ، على أن لا تكون أبواب المساكن المتقابلة متقابلة هي أيضاً ، الشكل (1) . كما أن الشارع هو الحاكم في ديناميكيات التوزيع للوظائف الحضرية ، إذ يمثل عقدة النقل فيها بينما تتوزع الوظائف تباعاً مع امتدادات تلك الطرق. حتى أن المدينة غالباً ما اتصفت بنظام طرق الأزقة الضيقة المتعرجة التي تنتهي كل مجموعة منها بنهايات مغلقة لدواع أمنية ، وكان الهدف من ضيق تلك الأزقة هو اتقاء حرارة الشمس إذ تحافظ الممرات الضيقة على الظل أطول فترة ممكنة في بيئة صحراوية مما يساعد المارة على التحرك بارتياح أكبر ، ولا ننسى أن هذه الطرقات كانت متناغمة مع وسائط النقل السائدة آنذاك متمثلة بالعربات التي تجرها الحيوانات أو هي طرق لسير السابلة.

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

شكل (1) يوضح المخطط التقليدي لمدينة بغداد المدورة في العصر العباسي ونظام الطرق فيها

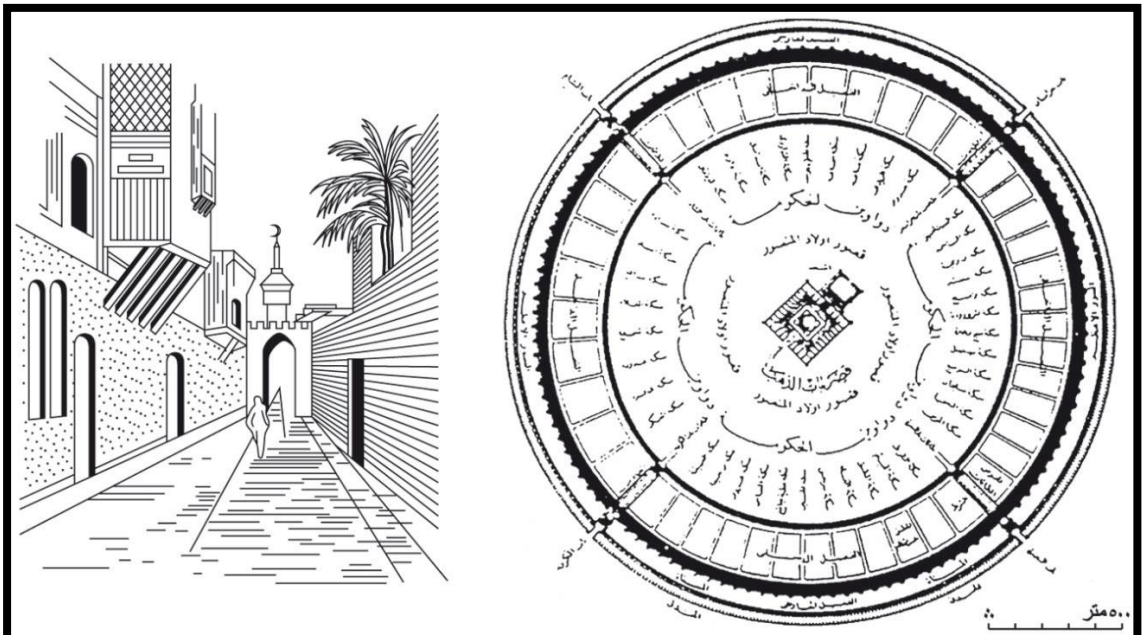

مخطط مدينة بغداد الدائرية

منظور تخيلي لأحد شوارع المدينة

المصـــــــــــدر: الإنترنـــــــــــت ، الـــــــــــرابط :

https://www.google.com/search?q

أما في الفترة الحديثة والمعاصرة فإن هذا النظام قد تغيير بفعل النمو الاقتصادي وتطور وسائط النقل الحديثة التي تتطلب سعة الشوارع واستقامتها لتسهيل حركة تلك الوسائط ، صورة (2) . كما أثر ذلك في اتساع المساكن لتزايد متطلبات المكان من حيث توسع غرف النوم والمطابخ وضرورة وجود مرآب السيارة ووجود الحديقة مما أفضى إلى اتساع مساحة المسكن . وهي عوامل داخلية أدت بالضرورة إلى تغيير النظام الهيكلي المورفولوجي للمدينة العربية المعاصرة.

إن طراز بناء الوحدة السكنية ومعماريتها في المدينة العربية الإسلامية مستوحى من فكر تخطيطي أصيل ، عمل جاهداً للوصول إلى نمط يوفر للساكنين وسائل الراحة والأمان وفقاً للمعطيات البيئية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في المجتمعات العربية آنذاك ، و دائماً ما يطلق على المنطقة التقليدية من المدينة المعاصرة بأنها منطقة غير مخططة وهو أمر غير منطقي ، إذ أن كل ما بني فيها كان مخططاً بحذر ولكن وفقاً للمعطيات السائدة ، فالعامل الاقتصادي ومواد البناء المستوحاة من البيئة المحلية فرضت صغر مساحة المسكن وسماكة الجدران منعاً لتسرب الحرارة إلى الداخل ، ووجدت الباحة الوسطية بهدف تبدل الهواء الداخلي للمسكن والانفتاح نحو السماء وسعة الأفق لأسباب دينية ونفسية ، كما أن المدخل المنكسر للدار كان لدواعي اجتماعية بحتة لمنع تلصص المارة بأنظارهم إلى داخل الدار مما يحقق خصوصية تامة .

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

صورة (2) توضح نظام الشوارع الحديث في مدينة بغداد

المصدر: الإنترنت ، الرابط : https://www.google.com/search?q

لقد تغير طراز بناء الوحدة السكنية كثيراً في المدينة العربية المعاصرة عما سبق ، فتلك المظاهر العمرانية السابقة الذكر التي تمثل الموروث العمراني الأصيل قد أصبحت غير مستساغة لدى عامة السكان ، بسبب جهلهم للقيمة الفعلية لتلك المساكن التراثية. فقد تميزت المحلات السكنية في المناطق التقليدية بطرازها البنائي الموحد والذي كان من أهم دوافع بقائها ، إذ لم تتولد لدى ساكنيها الرغبة في إجراء تحويرات شكلية أو معمارية عليها ، أي لم تكن هناك منافسة في الأنماط أو الطرز لتقف وراء تغييرها ، ولكن ما يحدث اليوم ونظراً لتعدد الأنماط والطرز البنائية المستوردة بحكم الاحتكاك الحضاري والانفتاح على العالم ، أمر في غاية الأهمية والخطورة على المخزون العمراني التقليدي ، إذ أخذت المباني التقليدية بالتناقص والاندثار عندما حلت محلها أو بالقرب منها المباني ذات الطرز المختلفة والدخيلة التي أخذت تنمو سريعاً على حساب التقليدية منها بشكل من الصعب السيطرة عليه. فقد هرع أصحاب المساكن القديمة مسرعين عندما غرهم لمعان وبريق واجهات المساكن الحديثة ، في تهديم وإزالة مساكنهم الموروثة وبنائها مجدداً وفق التصاميم الحديثة بالنسبة للميسورين أو بيعها لآخرين والرحيل إلى مناطق أخرى بالنسبة لأصحاب الدخل المحدود. ما تقدم كان مسبباً للتداعي العمراني الشامل الذي اقتلع المباني التراثية كلياً ومن الجذور إن جاز التعبير، وهذا ما يسمى بالتنقية إلى الأعلى (Filtering Up) أي هدم المباني السكنية القديمة وبنائها مجدداً وفق التصاميم الحديثة [22] .

و فيما يتعلق **باستعمالات الأرض الحضرية** ونمط توزيعها ، فهي الأخرى قد تغيرت عما كانت عليه سابقاً ، فآليات توزيع الوظائف الحضرية في المدينة العربية الإسلامية كانت تتبع سياق معين ، حيث أنها أعطت المساجد صفة المركزية وحددت نوعية الساحات التي تحيط بها ، وحددت نوعية تصرف المجتمع الذي تقولب

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

وفقاً للتعاليم الدينية وهذا بدوره شكل الأبعاد الفيزيائية سواء للمسجد أو المسكن أو المدينة عامة ، و تميزت المدينة العربية في العصور الإسلامية بتوجهها نحو الداخل من خلال عناصرها العمرانية المختلفة التي تكاد تكون ثابتة، إذ تمثل هذه العناصر تعبيراً فطرياً صادقاً عن المجتمع واحتياجاته ممثلة بالمسجد، والخدمات العامة، والمناطق السكنية، وشبكة الشوارع .. الخ [23] .

إن القوانين التخطيطية المستوردة ، التي وضعت أغلبها في فترات السيطرة الاستعمارية على الدول العربية، والتي لم تستند في صياغتها ووصفها على أسس علمية وحضارية، كان لها دوراً كبيراً في أن تصل مدننا الحالية إلى أجزاء متنافرة، تحكمها سنة التطور والحاجة الآنية غير المدروسة لمتطلبات الساكنين وحركة المرور، دون الأخذ بنظر الاعتبار الصورة النهائية التي ستتكون لها، ولا إلى البيئة الحضرية المتدهورة الناتجة عنها، والتي تم تطوير بعض الأجزاء منها وبقيت الكثير منها من مناطق المدينة وخاصة المراكز القديمة للمدن العربية العريقة بمستوى خدمي وحضاري وعمراني متدني، مما أفضى إلى تسارع التآكل والاندثار لهذه الأنسجة الحضرية التي تمثل أصالة الفكر التخطيطي الإسلامي وافتقارها إلى شخصيتها وهويتها القومية، في وقت لم تكفل هذه القوانين والأنظمة للمناطق الحديثة الإنشاء، سمة التخطيط والبناء لإعطاء الشخصية الخصوصية الحضارية لها، والمتتبع للخطوات التنفيذية لتخطيط مثل هذه المناطق يلاحظ أنه بمجرد شق الطرق الرئيسة المحيطة بمنطقة ما، تبدأ عملية بناء العمارات على جوانب هذه الطرق حيث ترتفع أسعار الأراضي فجأة نتيجة لقوانين التنظيم العمراني التي تساعد على زيادة استغلال الأراضي وارتفاعات المباني على الطرق العريضة والتي دائماً ما تكون هي الطرق الرئيسة على أطراف المناطق العمرانية، ومع استمرار عملية البناء على جوانب هذه الطرق تبدأ الأدوار الأرضية منها تتحول إلى محال تجارية تجذب إليها حركة نشاط السكان في المنطقة وتظهر الحاجة إلى مواقف للسيارات تخدم هذه المحال [24] .

إن الثقافة الاستهلاكية لسكان المدينة العربية المعاصرة قد أفرزت فضلاً عن تغيير توزيع استعمالات الأرض ، ظهور وظائف جديدة عملت بشكل أو بآخر على تغيير مورفولوجية المدينة ، فوجبات الأكلات السريعة لشركات (ماكدونالدز العالمية) والمشروبات الغازية لشركات (بيبسي العالمية) قد ساهم دخولها أسواق الاستهلاك العربية إلى ظهور مطاعم الأكلات السريعة والكوفي شوب في بنية المدينة وهو أحد مؤشرات التغيير المورفولوجي.

المبحث الثالث : العوامل المؤثرة في التغيير المورفولوجي للمدينة المعاصرة

1- العلم والتكنولوجيا

ساهم التطور العلمي والتكنولوجي في إحداث طفرة حضارية على المستويات كافة ، إذ تزايد السكان الحضر بشكل ملحوظ منذ منتصف القرن العشرين ، وأصبحت تجمعاتهم الكبيرة في إطار الحيز الحضري يتطلب جهوداً كبيرة من أجل استيعاب كامل احتياجاتهم ، ومع اتساع الرقعة الحضرية وتطور الصناعات الألكترونية وتطور وسائل النقل والاتصال ، وأنتشار الثقافات المتعددة التي أدت إليها العولمة من إسقاط حواجز المسافة والزمن وظهور التغييرات الجذرية والتحولات في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للعالم [25] . وقد مثل (ألفين توفلر) المتخصص في الدراسات المستقبلية ظهور هذه التقنيات المعلوماتية الغنية بالمعارف بما أسماه الموجة الثالثة The Third Wave في حياة المدن [26] ، فضلاً عن اهتمام العلماء بتقديم الأبحاث والدراسات التي من شأنها تخطيط المدينة ورسم معماريتها الحديثة

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

وفقاً للمعطيات المطروحة والخروج بنتائج تصب في صالح المجتمع.

إن هذا التطور الكبير الذي انبثقت بوادره في المدن العالمية الرئيسة التي قادت التغيير الحاصل في ديناميكيات المدينة في عموم العالم ، قد ظهر أثره في المدينة العربية المعاصرة ، فلم تكن المدينة العربية قبل اكتشاف السيارة كواسطة نقل كما هي في الوقت الحالي ، لا من حيث خطتها ولا طراز مساكنها ، فالخطة العشوائية والطرقات الضيقة المتعرجة لم تعد ملائمة لوسائل النقل الحديثة ، مما أجبر المخططين على أخذ ذلك بعين الاعتبار ، فتوسعت الشوارع واستقامت وأصبحت امتدادات المدينة أكبر من ذي قبل بفعل تسهيلات النقل التي قربت المسافة الزمنية من مركز المدينة باتجاه الأطراف وبالعكس.

فضلاً عما سبق فإن مواد البناء هي الأخرى قد تطورت كثيراً جراء التطور العلمي والتكنولوجي ، مما ساهم في إحداث التغيير المورفولوجي في المدينة العربية المعاصرة. ولا بد من إجراء مقارنة صغيرة للمدينة العربية بين الماضي والحاضر لفهم ذلك التغيير، فالمساكن التي كانت تبنى باللبن المفخور (الآجر) ممتزجا بالطين لتثبيته ، وسقوفها المقوسة نحو الأعلى لتحمل الوزن مما ساعد على عدم انهيارها مدة أطول كما أن صغر مساحة الغرفة وسماكة الجدران ساعد في ذلك. أما في الفترة الحديثة من عمر المدينة العربية نجد أن تلك الاعتبارات قد باتت مستهلكة لا قيمة لها بمعية مواد البناء الحديثة متمثلة بالطابوق والأسمنت والخرسانة المسلحة وهياكل البناء الجاهز وغيرها ، وكلها عوامل قادت إلى التغيير المعماري والعمراني في المدينة العربية المعاصرة.

2- وسائل الإعلام

في ظل التطور الإعلامي المتنامي بفعل التطور التكنولوجي في مجال الاتصالات والتواصل صعد نجم وسائل الإعلام الحديثة من فضائيات وصحف الكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي والتواصل عبر البريد الالكتروني. أصبحت وسائل الإعلام بمثابة مؤسسات تربوية وتعليمية حديثة نالت من دور الأسرة والمدرسة والجامعة خاصة فيما يخص المنظومة المعرفية المنزوعة من سياقها الاجتماعي والقيمي والتاريخي؛ فأصبحت ذات نزعة استهلاكية. من خلال هذه الوظيفة يمارس الإعلام أخطر أدواره الاجتماعية التي تتمثل في إحداث ثورة إدراكية ونفسية تستهدف إعادة تأهيل البشر للتكيف مع متطلبات العولمة وشروطها. وتقوم وسائل الإعلام باستقطاب النخب المثقفة للترويج لفكر العولمة وأيديولوجيتها عبر الحوارات التلفزيونية والمقالات والمؤتمرات محاولة منها تهميش الثقافات والسياسات الأخرى[27] .عملت وسائل الإعلام بجميع أشكالها على تقريب المسافات بين الأمم والشعوب ، من حيث إمكانية نقل الثقافات والأفكار مما ساهم في تقليص الهوة الفكرية الثقافية ، وهذا ما يؤكد أن العالم أصبح أشبه بالقرية الصغيرة . ولكن كيف يمكن أن نلاحظ أثر ذلك التقارب الفكري في تغيير البيئة الحضرية للمدينة العربية المعاصرة؟ والجواب يكمن في عملية تحليل ذاك الكم من الأفكار العمرانية والمعمارية الذي يتم طرحه في وسائل الإعلام ، وكيف أمكن للقارئ والمشاهد والمستمع من اقتباس تلك الأفكار ومحاولة تطبيقها ، بل أنها قد طبقت بالفعل لدى الكثير من أفراد المجتمع . ونحن لسنا هنا بمحضر النقد لعملية التغيير بقدر ما نحاول إعطاء صورة عن ذلك التغيير الهيكلي العمراني والمعماري في المدينة العربية المعاصرة التي إن صح التعبير فقد أصبح الكثير منها عبارة عن نسخة مشابهة لتلك المدن العالمية ،

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

مثل مدن دبي وأبو ظبي والدوحة والمنامة والرياض وغيرها.

3- الهجرة ونقل ثقافة العمران

كثيراً ما أثرت الهجرة وتؤثر في انتقال أنماط العمران من بيئة لأخرى ومن مجتمع لآخر ، وقد صدح الباحثون حول موضوعة تريف المدن كأحد الشواهد لهذا التغيير ، فالمهاجرين من الريف إلى المدينة ينتقلون مرحلياً بين ثنايا المدينة من الأطراف وصولاً إلى مركزها الحضري ، وتكون مساكنهم بطراز ريفي يتناغم مع بيئتهم الأم مما يشكل اختراقاً للبيئة الحضرية [28] .

تواجه المدينة العربية المعاصرة هذا النوع من الاختراق وفقاً لهذا المنظور ، ولكنه اختراق أكثر عمومية مما أفرز تغييراً كبيراً في تشكيل بيئتها الحضرية جراء عملية الغزو الفكري القادم من خلف المحيطات ، فتلك المدن عالمية التأثير أخذت ترسل المد الجارف من الأفكار العمرانية والمعمارية إلى مدننا العربية . ونحن لا ننكر أثر المهاجرين العرب في نقل الجزء الأكبر من تلك الأفكار ، ففي العراق مثلاً وفي حقبة تسعينات القرن الماضي حدثت هجرة قسرية طاردة نحو دول أوربا وأمريكا وأستراليا شملت شريحة ليست بقليلة من أفراد المجتمع ، ولم تنفك أن عادت نسبة كبيرة منهم إلى البلاد بعد عام 2003م بهدف الاستقرار ، حاملين معهم الأفكار المعمارية الحديثة المقتبسة من بيئة مجتمعات المهجر ومن ثم تطبيقها وانتشارها في بيئة الأصل ، مما أدى إلى تغيير معماري وعمراني ملموس يتجلى بتلك المساكن الفارهة بالطراز الغربي فهي مغلقة من الداخل ذات مساحات كبيرة ولها واجهات مزركشة مطعمة بالحجر وسقوف واجهاتها المضاعفة (Double Valium) ، فضلاً عن احتوائها على الحدائق ومرائب السيارات الخاصة وساحات لعب الأطفال في كثير من الأحيان ، وبالتالي فقد حققت متطلبات ساكنيها من الراحة والأمان وتحقيق الخصوصية بأسلوبها المعماري الحديث.

4- مصمم المخطط الأساس

أضحى من الضروري الالتفات إلى فهم دور العولمة في تغيير بنية المدينة شكلاً ومضموناً من خلال تهميش دور المخطط المحلي وتحديده ، فلم يعدو كونه مروجاً للأفكار التخطيطية غربية الطابع التي تنتجها وتروجها الشركات متعددة القومية [29] . إذ أن عمارة ومعمارية المدينة هي ليست بمواد البناء بقدر ما هي بالتعبير الإيحائي الذي يجسد كينونة الإنسان ، على اعتبار أن العمارة هي مؤسسة لها أصولها وتحمل بصمات المعماري الذي يقوم بالكشف عنها من خلال المخطط الذي يختاره باستخدام خلفيته العلمية وبحسب متطلبات الوظيفة أو الوظائف القائمة .

إن ما تقدم يشير إلى أن عملية وضع المخططات الأساسية للمدينة أو التصاميم المعمارية للمباني والمنشآت في الوقت الحالي دائماً ما يعتمد على شركات عالمية متخصصة ، مثل مخططات مدينة بغداد وغيرها من المدن العراقية من قبل شركات دوكسيادس اليونانية وبول سيرفس البولندية ، مما يحمل في طياته من نقل للفكر والثقافة الغربية تجاه المدينة العربية واستنساخ عمارة الحداثة وزرعها في نسيج بغداد [30] ، فتظهر بأشكال متناغمة مستوحاة من تلك المدن ، وأن ما يعزز هذه الحقيقة أن أغلب الشركات التخطيطية العالمية لم تأخذ بنظر الاعتبار العادات والتقاليد وثقافة المجتمع أثناء عملية وضع المخطط الأساس ، لذا يتم فرض نمط بنائي معين ليصبح فيما بعد أمراً واقعاً كالبناء العمودي مثلاً الذي غدا جزء من ثقافة المجتمعات العربية الحديثة ، ولكنه في الحقيقة ما هو إلا نمط دخيل قادم من ثقافة العمارة الغربية.

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

الاستنتاجات

1- تتمتع المدينة العربية والإسلامية بنظام عمراني وبناء مورفولوجي أصيل حافظ على هوية الإسلام وتمكن من استيعاب التغييرات السكانية ومتطلباتهم الوظيفية في خضم المكان طيلة دهوراً من الزمن ، بأسلوبه العمراني والمعماري المتميز.

2- اقتبست المدينة العربية المعاصرة الكثير من التغييرات في شكلها الخارجي وبنائها الداخلي وتصميم مبانيها ، التي بدأت صورها في المدينة العالمية وتحديداً مدن الحضارة الغربية.

3- لقد أثرت العولمة الثقافية في نقل أشكال ونماذج المدن العالمية المتحضرة نحو المدينة العربية ، وبالتالي تطبيقها نسبياً ، إذ نرى بعض المدن العربية قد انساقت بالكثير من تفصيلاتها لتطبيق تلك التجارب العالمية.

4- تعدد العوامل والفواعل التي ساهمت بشكل كبير في انتقال الفكر التخطيطي العمراني والمعماري الغربي إلى المدينة العربية المعاصرة ، منها التطور العلمي والتكنولوجي ووسائل الإعلام وحركة المهاجرين ودورهم في نقل الثقافة العمرانية ، فضلاً عن دور الشركات العالمية في وضع المخططات الأساس للكثير من المدن العربية.

5- يمكن عدَ التغييرات التي اكتسبتها المدينة العربية المعاصرة بفعل التفاعل المعولم مع المدن الغربية ، بأنها تنقسم ما بين التغييرات الايجابية التي لابد من التعاطي معها ، إذ اتساع الشوارع واستقامتها بمعية دخول وسائط النقل الحديثة أمر لا يمكن الاستغناء عنه . ومنها ما هي سلبية ينبغي إهمالها والحذر من تطبيقها لأن فيها عملية طمس للموروث العمراني وإلغاء للهوية الحضارية العربية ، كتلك الهياكل العمرانية الجامدة التي تقلل من خصوصية الفرد والأسرة .

6- بما أن العولمة الثقافية تعنى بانتقال الثقافات بين المجتمعات فهي إذن عملية للتبادل الحر ، أي أن الانتقال يمكن أن يكون من الجانبين وليس من جانب دون آخر ، ولكن ما نلاحظه أن عملية تأثير الحضارة الغربية باتجاه المدينة العربية أكبر مما هو بالعكس ، فلم نجد الأنماط والطرز العربية الأصيلة تطبق في مدن الغرب سوى في بعض مدن أوربا كأشبيلية وغرناطة الاسبانيتين ، في حين نجد المظاهر العمرانية والمعمارية الغربية شائعة اليوم في المدينة العربية.

المقترحات

1- ضرورة التعاطي مع التبادل الفكري بين الحضارات العالمية بما لا يمس الهوية الحضارية لكل أمة من الأمم ، فالأمة العربية مهددة الهوية في خضم هذا التفاعل والانسياق نحو الغرب .

2- الموروث العمراني جزء أصيل من المدينة ، ينبغي عدم المساس به بحجة التحديث مما أفضى إلى عمليات هدم وإزالة لهذا الموروث واستبداله بهياكل عمرانية فارغة من حيث البعد الإنساني .

3- ينبغي الخروج من دائرة المحلية والإقليمية فيما يخص وسائل الإعلام العربية ، والانطلاق نحو

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

العالمية بهدف نقل الفكر الإنساني العربي والإسلامي ، وتحقيق نوع من التوازن في عملية التفاعل الحضاري .

4- لابد من أن تكون بصمات المخطط والمعماري العربي واضحة عند وضع المخططات حتى وإن كانت موضوعة من قبل شركات عالمية ، إذ تبادل الخبرات مطلوب ولكن لا على حساب الفكر التخطيطي العربي الأصيل.

5- وضع محددات لفن العمارة بقوانين تهدف إلى حماية الأصالة الفكرية العربية من الانسلاخ عن ذاتها وعدم الانصياع نحو الحضارة الغربية.

6- مزاوجة النمط العمراني الحديث بالنمط التقليدي والخروج بنمط مهجن يحمل صفة التواصل بين الحداثة العمرانية والمعمارية وروح الأصالة والهوية الحضارية ، وبالتالي فهو نمط عمراني قادر على احتواء وإرضاء كافة الرغبات.

7- ينبغي وضع أي عملية للتغيير الشكلي والبنائي في المدينة العربية في مجهر الفحص والتحليل والتأمل ، ومعرفة ما إذا كان هذا التغيير ايجابي أم سلبي ، ومن ثم الشروع بتطبيقه أم لا.

8- على الجهات التنفيذية في البلاد العربية وخاصة العراق تحقيق التواصل مع الخبرات المحلية العراقية في مجالات الهندسة المدنية والهندسة المعمارية وجغرافيا المدن والتخطيط الحضري ، وتحقيق الاستفادة من الخبرات الأكاديمية في الجامعات العراقية.

الهوامش

(1) طارق عبد الرؤوف عامر ، العولمة (مفهومها ، أهدافها ، خصائصها) ، الإنترنت ، الرابط : http://al3loom.com/?p=641

(2) عبد العزيز المنصور ، العولمة والخيارات العربية المستقبلية ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، مجلد (25) العدد (2) ، 2009 ، ص562.

(3) عبد الإله بلقزيز ، العولمة والممانعة – دراسات في المسألة الثقافية ، مجلة المعرفة للجميع ، العدد الرابع ، جامعة غزة – فلسطين ، 1999 ، ص40.

(4) صالح حسين سليمان الرقب ، العولمة الثقافية آثارها وأساليب مواجهتها ، مؤتمر (العولمة وانعكاساتها على العالم الإسلامي في المجالين الثقافي والاقتصادي) عمان – الأردن ، 2008 ، ص10.

(5) الإنترنت ، الرابط: https://www.google.com/maps/dir/Iraq/United+States/@

(6) مازن ظافر موسى الصفار ، العولمة وأثرها على النظام العمراني ، المجلة العراقية للهندسة المعمارية ، المجلد (6) ، الجامعة التكنولوجية –بغداد ، 2010 ، ص278.

(7) حيدر عبد الرزاق كمونة ، عامر شاكر خضير ،العولمة وهوية بنية الصورة الذهنية للفضاءات الحضرية ، مجلة المخطط والتنمية ، العدد (17) ، بغداد ، 2007، ص13.

(8) عز الدين المناصرة ، العولمة والهوية ، المؤتمر العلمي الرابع للآداب والفنون ، جامعة فيلادلفيا الأردن ، 1999 ، ص8.

(9) المصدر نفسه ، ص11.

(10) هاني خليل الفران ، محددات تأكيد الهوية الثقافية العربية في التصميم المعماري من خلال الأسلوب البنائي الحديث (دراسة تحليلية لأسلوب المهندسة المعمارية زها حديد) ، الإنترنت : الرابط :- www.uobabylon.edu.iq/publications/humanities_ed7_19.doc

(11) حيدر عبد الرزاق كمونة ، عامر شاكر خضير ، مصدر سابق ، ص13.

(12) مروة حسن محمد العثمان ، مفهوم الهوية في العمارة والعمران-دراسة تحليلية للعناصر المؤثرة في شخصية المكان ، رسالة ماجستير (غ.م.) ، جامعة القاهرة –كلية الهندسة ، 2003،ص16.

(13) حيدر عبد الرزاق كمونة ، عامر شاكر خضير ، مصدر سابق ، ص13.

(14) الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) الرابط :- https://ar.wikipedia.org/wiki/المدن_العالمية

(15) محمد عرب الموسوي ، مورفولوجية مدينة الجميل والتركيب الداخلي للمساكن من واقع الدراسة الميدانية ، الإنترنت ، الرابط :- http://asrir-alalm.ahlamontada.com/t9-topic

(16) غادة موسى رزوقي ، فكر الإبداع في العمارة ، أطروحة دكتوراه (غ.م.) ، جامعة بغداد –كلية الهندسة ، 1996 ، ص36.

(17) عقيل عز الدين شكارة ، تعبيرية العمارة في عصر الثورة المعلوماتية وتأثيرها على مفهوم الهوية ، رسالة ماجستير (غ.م.) ، جامعة بغداد –قسم الهندسة المعمارية ، 1998 ، ص1.

(18) مازن ظافر موسى الصفار ، مصدر سابق ، ص282.

(19) محمد عرب الموسوي ، دور الموروث الحضاري في تحديد المدينة العربية والإسلامية ، الإنترنت ، الرابط :- https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/217779.html

(20) سارة لطرش ، تأثير النمو السكاني في تغيير مورفولوجية المدينة – دراسة ميدانية بمدينة سطيف ، رسالة ماجستير (غ.م.) ، جامعة فرحات عباس –كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،الجزائر ، 2009 ، ص59.

(21) محمد عرب الموسوي ، دور الموروث الحضاري في تحديد المدينة العربية والإسلامية ، مصدر سابق .

(22) ضياء خميس علي ، تداعي الموروث السكني في مركز قضاء الأعظمية ، أطروحة دكتوراه (غ.م.) ، كلية التربية ابن رشد- جامعة بغداد ،2004 ، ص 74-75.

(23) محمد عرب الموسوي ، دور الموروث الحضاري في تحديد المدينة العربية والإسلامية ، مصدر سابق .

(24) المصدر نفسه .

(25) ريهام محمد سمير ، أثر الثورة المعلوماتية والعولمة على التحولات للمدينة المعاصرة ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة القاهرة - كلية الهندسة ، 2013 ،ص ن.

(26) Shuichi Fukuda, "Emotion: A Geteway to Wisdom Engineering", Springer London,2011.

(27) خالد محمد غازي ، رئيس تحرير وكالة الصحافة العربية بالقاهرة ، مقال بعنوان (إعلام العولمة للاستهلاك فقط) ، الإنترنت ، الرابط : http://middle-east-online.com/?id=138776

(28) منتدى الجغرافية ، الهجرة الريفية الحضرية (عامل الجذب والطرد) ، الإنترنت ، الرابط :- http://alemarageography.yoo7.com/t97-topic

(29) أحمد مجدي حجازي ، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية – رؤية نقدية في العالم الثالث ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والآداب ، مجلد (28) ، عدد (2) ، الكويت ، 1999، ص128.

(30) عامر شاكر خضير ، رنا صبحي ناصر ، عمارة الحداثة في تخطيط مدينة بغداد، مجلة المخطط والتنمية ، عدد (22) ، بغداد ،2010 ، ص119.

المصادر

1- أحمد مجدي حجازي ، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية – رؤية نقدية في العالم الثالث ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والآداب ، مجلد (28) ، عدد (2) ، الكويت ، 1999.

2- حيدر عبد الرزاق كمونة ، عامر شاكر خضير ،العولمة وهوية بنية الصورة الذهنية للفضاءات الحضرية ، مجلة المخطط والتنمية ، العدد (17) ، بغداد ، 2007.

3- خالد محمد غازي ، رئيس تحرير وكالة الصحافة العربية بالقاهرة ، مقال بعنوان (إعلام العولمة للاستهلاك فقط) ، الإنترنت ، الرابط : http://middle-east-online.com/?id=138776

4- ريهام محمد سمير ، أثر الثورة المعلوماتية والعولمة على التحولات للمدينة المعاصرة ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة القاهرة - كلية الهندسة ، 2013.

5- سارة لطرش ، تأثير النمو السكاني في تغيير مورفولوجية المدينة – دراسة ميدانية بمدينة سطيف ، رسالة ماجستير (غ.م.) ، جامعة فرحات عباس –كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،الجزائر ، 2009.

6- صالح حسين سليمان الرقب ، العولمة الثقافية آثارها وأساليب مواجهتها ، مؤتمر (العولمة وانعكاساتها على العالم الإسلامي في المجالين الثقافي والاقتصادي) عمان – الأردن ، 2008 .

7- ضياء خميس علي ، تداعي الموروث السكني في مركز قضاء الأعظمية ، أطروحة دكتوراه (غ.م.) ، كلية التربية ابن رشد- جامعة بغداد ،2004.

8- طارق عبد الرؤوف عامر ، العولمة (مفهومها ، أهدافها ، خصائصها) ، الإنترنت ، الرابط : http://al3loom.com/?p=641

9- عامر شاكر خضير ، رنا صبحي ناصر ، عمارة الحداثة في تخطيط مدينة بغداد، مجلة المخطط والتنمية ، عدد (22) ، بغداد ،2010.

10- عبد الإله بلقزيز ، العولمة والممانعة – دراسات في المسألة الثقافية ، مجلة المعرفة للجميع ، العدد الرابع ، جامعة غزة – فلسطين ، 1999.

11- عبد العزيز المنصور ، العولمة والخيارات العربية المستقبلية ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، مجلد (25) العدد (2) ، 2009.

12- عز الدين المناصرة ، العولمة والهوية ، المؤتمر العلمي الرابع للآداب والفنون ، جامعة فيلادلفيا الأردن ، 1999.

13- عقيل عز الدين شكارة ، تعبيرية العمارة في عصر الثورة المعلوماتية وتأثيرها على مفهوم الهوية ، رسالة ماجستير (غ.م.) ، جامعة بغداد –قسم الهندسة المعمارية ، 1998.

14- غادة موسى رزوقي ، فكر الإبداع في العمارة ، أطروحة دكتوراه (غ.م.) ، جامعة بغداد –كلية الهندسة ، 1996.

15- مازن ظافر موسى الصفار ، العولمة وأثرها على النظام العمراني ، المجلة العراقية للهندسة المعمارية ، المجلد (6) ، الجامعة التكنولوجية –بغداد ، 2010.

16- محمد عرب الموسوي ، دور الموروث الحضاري في تحديد المدينة العربية والإسلامية ، الإنترنت ، الرابط :- https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/217779.html

17- محمد عرب الموسوي ، مورفولوجية مدينة الجميل والتركيب الداخلي للمساكن من واقع الدراسة الميدانية ، الإنترنت ، الرابط :- http://asrir-alalm.ahlamontada.com/t9-topic

18- مروة حسن محمد العثمان ، مفهوم الهوية في العمارة والعمران-دراسة تحليلية للعناصر المؤثرة في شخصية المكان ، رسالة ماجستير (غ.م.) ، جامعة القاهرة –كلية الهندسة ، 2003.

19- منتدى الجغرافية ، الهجرة الريفية الحضرية (عامل الجذب والطرد) ، الإنترنت ، الرابط :- http://alemarageography.yoo7.com/t97-topic

20- هاني خليل الفران ، محددات تأكيد الهوية الثقافية العربية في التصميم المعماري من خلال الأسلوب

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800

البنـائي الحـديث (دراسـة تحليليـة لأسـلوب المهندسـة المعماريـة زهـا حديـد) ، الإنترنـت : الـرابط :- www.uobabylon.edu.iq/publications/humanities_ed7_19.doc

21- الموسـوعة الحـرة (ويكيبيـديا) الـرابط :- https://ar.wikipedia.org/wiki/المدن_العالمية.

22- الإنترنـت ، الـرابط : https://www.google.com/search?q

23- الإنترنـت ، الـرابط: https://www.google.com/maps/dir/Iraq/United+States/@

heritage. The study has concluded that modern Arab city, with its original architectural, has acquired a lot of western city characteristic and thus it becomes similar to the modern western city. As a result, it is necessary to deal with information intellectual and cultural exchange without prejudicing the Arab cultural city identity. It is to analyze the peculiar patterns before applying by means of mixing old modern thoughts. Moreover, it is to engage the local planning in any planning process, whether urban or architectural.

Abstract

Nowadays, globalization is a matter of a great controversy among intellectuals and thereby It expresses of highly reticence . Accordingly, a mass of specialized researchers has been divided into supporters and opponents of the application on how to apply and assimilate globalization . The process of transferring ideas and cultures among nations and communities has its merit and demerit. Hence, it is to identify such affects upon the morphology of the modern Arab city as it is highly altered due to cultural concept of globalization at the expense of the traditional Arab city.

The current study comes to analyze and deal with that concept of globalization to achieve considerable positives points as not to completely influence against the cultural identity as well as the original urban

DOI:10.18018/URUK/019-12/783-800